يستحق اقامة الدعوى فان زوجها يلزم بدفع الغرامة من حيث انه كافل للسان امرأته ضامن لاخلاقها. ولقد تكون امرأته غنية وهو فقير فلا يعفى من الدفع. وقد يكون مشهوداً له بانه تعرض لمنعها عما فعلت وكان عليها مع من اساءت اليه ولكن كل هذا لا ينجيه من دفع الغرامة وتحمل الذنب عنها

ثم ان المرأة اذا ارتكبت جناية عظمى كأن قتلت او سرقت بنفسها ولكن زوجها كان مطلعاً على ما تنوي فعله وثبت ذلك عليه فانه يكون شريكها في الذنب حتى يتساويا معاً في العقوبة ولكنها لو ارتكبت ذنباً وكان هو المغري به والدافع اليه فان الجناية تقع عليه اكثر منها بدعوى انها طوع امره وتحت قياده

هذا طرف يسير مما تمتاز به المرأة عن الرجل في الحقوق والذنوب وهي حالات قد يكون ذاكرها مغالياً بها بعض المغالاة او هي ذات شروط ادق مما ذكرناها لتنجيها من العقاب وتحمل الغرامة ولكن الباحث لو نظر الى حال المرأة في كل بلاد مهما كانت شريعتها فانه يجد المرأة مرحومة جداً دون الرجل ويجد اكثر ويلات الدنيا وخطوبها سواء وردت منه او من امرأته واقعة كلها عليه فهو يحارب دونها ويقتل وهي لا تتحمل الا البكاء عليه. والقتل لا يقاس بالبكاء. وهو يضرب ويسجن وهي لا تحمل الا مصيبة الحزن والاشفاق وشتان بين الحالتين. وهو يكد ويشقى متحملا جور الزمان ومذلة الخدمة والفقر دون ان يعذره احد وهي تكون ارفع منه منزلة في العيون والنفوس ومعذورة دونه لدى الناس لان الفقر لم يكن منها مباشرة وان يكن قد جاء بسببها حقيقة

وعلى الجملة فالمرأة ممتازة بالكرامة والعفو والرحمة والسخرة والحرب

والسجن والشغل والتبعة وكل حالات الوجود تقريباً ثم هي مع ذلك تدعي انها مظلومة لانها ليست عضواً في مجلس نواب ولا قاضية في محكمة ثم تنسى انها ليست عسكرياً يجرح ويقتل ولا مسخراً يهان ويعذب او تنسى على الجملة انها ليست رجلاً قد خلق لكل صنوف الشقاء حتى اذا سعد كانت اول من يشاركه في السعادة واذا لم يسعد تحمل دونها اكثر صنوف الشقاء ولم تتحمل هي دونه الا آلام الولادة

قلة الزواج

يثبت من الاحصاآت الرسمية ان عدد المتزوجين يتنازل كل سنة عما قبلها تنازلا محسوساً في جميع البلاد التي اضاءت بها انوار المدنية العصرية. وبما ان بلادنا الشرقية قد نالها طرف من هذا الشرف اي هذه المدنية فقد اصابها ايضاً قسم من محذور تناقص الازدواج. وحيث ان الزواج قد كان ويكون دائماً في مقدمة الشروط الحافظة للشعب والآيلة لنموه وترقيه فقد اخذ الكتاب المشهورون في اوربا يبحثون في اسباب هذا الداء العضال الذي قضى على اغلب الامم الاوربية بتوقف نموها وسيفضي لامحالة الى تناقص عددها شيئاً فشيئاً الى ان يؤول الى ضعفها او الى اكثر من ذلك

ولا حاجة للقول انهم تباينوا في سرد الاسباب والمسببات وحاموا حول السبب الحقيقي مستنكفين من ذكره والمجاهرة به. فكلهم اوربيون

ومتمدنون فكيف يجسرون على نسبة هذا النقص او هذه النتيجة وامثالها من النتائج المشومة الى مدنية يجب ان يكونوا من زعمائها ومريديها ؟ ...
اما انا فحيث اني شرقي والشرقيون متهمون بعرقلة هذه المدنية او على الاقل بعدم استحسانها فاذا عرضت نفسي لانتقاد دعاة المدنية فليس ذلك بالشيء الجديد .

ولا يتبادر لذهن القاريء من هذه المقدمة انني حقيقة من اعداء المدنية ومستقبحيها فأكون كعليل النظر الذي يستنكر النور . حاشا ولكني اقول ان قلة الزواج وتوقف نمو الجنس البشري كانا من نتائجها اللازمة لها الصادرة عنها ضرورة

نعم ان كثرة الاختراع وترقي الفنون والصنائع في المدنية افضيا الى وفرة المصنوعات . وهذه استلزمت التفنن في وسائل التصرف بتكثير لوازم المعيشة الى ما لا نهاية له والتباهي والمجاراة في دواعي الزينة والرفاهية من مساكن وملابس وما كل وملاهٍ وخدم وغير ذلك . وهذه استوجبت ضرورة نفقات طائلة جداً ربت الرعب في قلوب الشبان وخصوصاً الفقراء والمتوسطين منهم فآل الامر الى قلة الزواج

ان العلوم والمعارف والفنون وفي العموم المدنية قد حررت النساء وجعلت لهنَّ ارادة وسلطة وحقوقاً في الزوجية . فالبعض يعبث بها والبعض الاخر يستعملها عن حق ولكن مع ازواج لم يخلقوا للطاعة والخضوع وفي الحالين كانت الحياة الزوجية في عذاب . ومثل المتزوجين هذا كان عبرة للعذاب جعلتهم في خشية من الزواج فقل عدد المتزوجين .

ان المدنية الحديثة اطلقت المرأة والرجل من كثير من قيود الاداب

العمومية وتركت الفحش ينتشر انتشاراً مخيفاً والفاحشات يزداد عددهن كل يوم منقادات لمهنتهن بالميل او بالحاجة او بالكسل او بغير ذلك من ظروف الحياة . فوجد الشبان بهن غنى عن الارتباط بقيد الزوجية والتعرض لمخاطرها وسبب ذلك قلة الزواج .

هكذا ترى ان الاسباب الداعية لتناقص الزواج في زماننا هذا مادية كانت ام ادبية كلها او اكثرها ترجع بالتسلسل الى المدنية فهي لها السبب الاعظم ان لم نقل كل السبب . وان لم تقنع بذلك فعليك بمراجعة الاحصاآت العمومية في الممالك المختلفة وتدقيق المقابلة والقياس بينها فترى ان عدد المتزوجين في الامة العريقة بالمدنية هو انقص منه ضرورة في امة دونها مدنية وترقياً وكذلك فيما يلي وعند ذلك يثبت لك رأيي هذا من نفسه ويغنيني عناء الحجة وزيادة الاثبات

بعد هذه المقدمات العمومية يسمح لي القراء ان اضيق حلقة البحث الى ما يهمهم بالاكثر وهو قلة الزواج في الشرق . على انني ارمي في كل ما ساقوله الى الهيئة الاجتماعية المسيحية فقط اما الاسلامية فلا تدخل في شيء من ذلك

ان الزواج في بلادنا الشرقية قد تناقص كثيراً عن ذي قبل والنقص يزداد يوماً عن يوم . وفتياتنا المتفننات الفاتنات يتعجبن لاهمال الشبان محاسنهن ومقاومتهم سحر مفاتنهن وهن لو امعن النظر ورفعن الغاية لرأين السبب فيهن ومنهن وعذرن الشبان بدل ان يرمينهم بالاهمال او عدم الاحساس وسقوط الاخلاق وعمدن الى تنقيص ما يعددنه مفاتن او الى تحليته بالوداعة والبساطة اللتين هما من اجمل حلى الامرأة وابهاها

ان اوربا التي غمرتنا باحسانها وحسناتها منت علينا ايضاً بحسنة المدنية

التي لم نأخذ منها لسوء حظنا سوى ظواهرها وحيث اننا لم نكن من عمالها فلم نحصل على شيء من فوائدها اما اضرارها فقد نالنا منها نصيب وافر . اهدتنا اوربا من جميع مصنوعات معاملها وكل محصولات صنائعها واخذت عندنا جميع المشروعات المفيدة والاشغال الرابحة ونقدناها مقابل ذلك ذهباً خالصاً رنانا فكنا كمن يدفع الخراج لمدنيتها لها كل الارباح ولنا كل الخسائر . ومع ذلك فقد اخذنا منها العوائد والازياء والاخلاق وجميع الزوائد الاجتماعية التي سببتها المدنية بوفرة اثمارها فزادت النفقات عندنا جداً مع تناقص الثروة فاختلت الموازنة اختلالاً عظيماً

نساؤنا اليوم يلبسن ملابس الاوربيات ويفرشن البيوت ويتخذن الخدم والمربيات مثلهن ويتعلمن العلوم واللغات والفلسفة والموسيقى والتصوير ويقمن في منازلهن الولائم الحافلة ويركبن المركبات الفاخرة ويرقصن في المحافل العمومية الخ كل ذلك على منال الاوربيات الغنيات . وهي امور تستلزم مصاريف فاحشة ليس بينها وبين الثروة العمومية او ارباح الشبان قل نسبة او قياس فلا عجب بعد هذا اذا ابتعد هؤلاء وخصوصاً افراد الدرجة الوسطى منهم عن الزواج فان ابتعادهم اضطراري وضروري

خصصت الدرجة الوسطى لان البلاء فيها وكل البلاء . فالاغنياء وان اضرت النفقات الزائدة في مستقبل ثروتهم وثروة ابنائهم بالنظر لقلة الارباح واضطرار الاغلب للانفاق من رأس المال فالقليل من الشبان يفكر في ذلك ويمتنع لاجله عن الزواج . اما الفقراء فهم بعيدون عن كل هذه الفضلات او عن اكثرها ولو كانت نفقاتهم قد زادت جداً عن ذي قبل . وامتناعهم عن الزواج بالاجمال اقل من امتناع المتوسطين . فهؤلاء وهم الكتبة والموظفون

ومستخدمو المحلات التجارية وصغار التجار ثم اصحاب الواردات المحدودة وبالعموم جميع المتخرجين من المدارس الكبرى والصغرى من غير ابناء اهل الثروة وهم تقريباً نصف شبان الهيئة الاجتماعية المسيحية الشرقية بالنظر لقلة الصنائع والمهن وكثرة المدارس والمتعلمين من درجة الفقراء . فاغلبهم بعد خروجهم من المدارس وتعلمهم العلوم والفنون واللغات الاجنبية يأنفون من الرجوع الى ما كان عليه اباؤهم من فلاحة او صناعة يدوية ويعتبرون حقاً ان يطمحوا الى العلاء والمناصب ويناظروا الاغنياء فان نجحوا فنجاحهم محدود لا ينيلهم الغنى خصوصاً في زمن الشبوبية وان لم ينجحوا كان الامر ادهى وامر وفي كلا الحالين فانهم يخافون الزواج ويجتنبونه او يؤجلونه بالاقل الى حين وان كان في قلبهم اليه شوق وحنين والسبب في ذلك عجزهم عن تقديم ما يلزم لسيدات اليوم وخوفهم من الارتباك والسقوط او الوقوع فيما لا تحمد عقباه

فالتقليد في الدرجة الوسطى قد تفشى داؤه لدرجة يعسر فيها في المجتمعات التفريق بين المتوسطة والغنية بالزينة والحلى وطريقة المعيشة . والفتاة التي تطمح اليوم الى الزواج تنظر في الاكثر الى الزوج كواسطة تطلق لها عنان الحرية في هيئة الاجتماع وتوفر لها اسباب الملاهي والزينة ورفاهة العيش فاذا رأت خلاف ما تؤمل بعد الزواج عدت ذلك حرماناً او ألفت من قرينها عجزاً ظنته قصوراً . وانها لترضى بالغبن وتسلم لحكم الظروف ولكن بعد ان تنفد وسائل الزوج المادية وبعد ان يستغرق بالديون اذا لم يكن قد وقع في ذلك على اثر حفلة العرس اي من اليوم الاول للزواج . ففي هذه الحالة كان البلاء اعظم ولا اعلم ماتفعله الزوجة (اذا لم تكن عاقلة شريفة

النفس) عند ذلك لكي ترضي اهوائها وتناظر جارتها وصديقتها بالزينة والبهرجة ؟ ...

هنا استلفت انظار القراء الى انني لا اقصد في كلامي هـذا الا القسم الذي ينطبق عليه من النساء فبعيد عني ان انكر وجود كثيرات من الفاضلات العاقلات اللواتي يدركن حقيقة مركزهن ويسرن على مقتضاه وينصرفن لاعانة ازواجهن على تحمل مشاق الحياة او اتعاب العائلة فهن كذلك مثال الزوجات ولا يليق بهن الا الاكرام والاحترام فاجزلها لهن

لست من دعاة (الدوته) ومستحسنيها ولكن هنا اراها العلاج الوحيد (وان كان ضعيفاً جداً) لهذا الداء . فقد يعذر الشاب العديم الثروة المريد الزواج اذا فتش في قرانه على اعانة يستعين بها بالاقل على الزيادة الفـاحشة التي تطرأ على نفقاته في حياته الجديدة او بعدها لتأمين حياة العائلة والاولاد حيث لا يمكنه الاقتصاد والتوفير من وارداته الخاصة ولكن لسوء الحظ ان (الدوته) عندنا لا توجد الا في النادر وان وجدت فهي في الغالب زهيدة لا تفي بالمقصود فكان تأثيرها كذلك قليل منحصر بالافراد قاصر في الغالب على إزالة الاسباب المادية التي تبعد الشبان عن الزواج

هذه هي اهم الاسباب المادية التي افضت الى قلة الزواج اما الادبية فهي تنحصر في امرين سبق ذكرهما في صدر هذه المقالة اولهما انتشار الخلاعة في بلادنا ولهو اغلب الشبان وغوايتهم والثاني العبرة بالمتزوجين او خوف الوقوع في الحالة السيئة السائرة على اكثر منازل المتزوجين وهي حالة الشقاء والعذاب الدائم . فالاول متأت عن الحرية المفرطة وقلة وسائل الكسب للفتيات الفقيرات وبالخصوص عن قبول الهيئة الاجتماعية اليوم مالم تكن

تقبله بالامس وعن تساهلها في امر الاداب العمومية الى حد لم تعد تحسب عاراً على الشاب ان أتهم بالخلاعة او يجهر بها بجلوسه الى جنب خليلته في الاماكن العمومية هذا اذا لم تعتبر له ذلك فخراً وتباهياً . اضف الى ذلك اعتراف القانون علناً بالفحش واعتباره اياه رسمياً كمهنة من المهن ثم رفعه سلطة الوالدين والاقارب وحمايتهم عن الابنة الراشدة المريدة الخروج عن حد الاداب فاصبحت حرة بنفسها مسألة عن اعمالها ولكنها اصبحت ايضاً ضعيفة فقيرة معرضة لخطر السقوط او منقادة الى الشر بدافع قوي . وعلى هذه الاحوال كلها امتنع الرادع والواقي للفتى والفتاة عن السقوط والظهور بالمنكر وانتشرت كذلك الخلاعة وكيف لا تنتشر وقل طلب الشبان للزواج ولم بعد هذا يتزوجون ؟

اما الثاني اي العيشة التعيسة التي نراها في القسم العظيم من بيوت المتزوجين فهي تتأتى من عدم امتزاج الطباع والاخلاق وتوافق الاذواق والاراء او من تباعد القلوب وحدوث البغضاء بين الزوجين . ولكل ذلك اسباب فضلاً عن انها تخرجنا عن الموضوع فهي كثيرة يطول بنا تعدادها وتفصيلها هنا ولكني ذكرت بعضها في مقالاتي السابقة في الانيس واللوتيس وسأستوفيها بحثاً في المجلتين فيما يأتي .

والنتيجة ان الاسباب التي آلت الى قلة الزواج اكثرها يرجع الى المدنية العصرية وهي لازمة لها بالصفة التي تلقيناها . واني اقول أيضاً ولو كره المتمدنون ان المدنية قد ولدت مخاذير كثيرة على الهيئة الاجتماعية ومخاطر عظيمة على الاخلاق بالعموم بدون ان تتنبه اليها وتستدركها بوسائل واقية فكانت بالحقيقة ارتقاء للجنس البشري وتوفيراً لاسباب رفاهيته وسيادته على

جميع الموجودات واستخدامه لها ولكنها كانت ضربة على ادابه واخلاقه من حيث قصورها عن اصلاح ما افسدت

فعلى الشرقيين ان يتنبهوا لهذه النقطة المهمة فيستدركوا خلل المدنية الاوربية التي يتهافتون عليها اليوم كتهافت الجياع على القصاع . فيجب عليهم ليس فقط ترك القبيح منها المخالف لعوائدهم وادابهم واخلاقهم واتخاذ الحسن السليم المفيد فقط بل يجب ايضاً ان يستدركوا ما فات اوربا استدراكه وهو النتائج السيئة الملازمة للمدنية بوسائل فعالة وقواعد حكيمة والافان تهاونوا في هذا الامر ولم يضعوا سداً متيناً امام التيار الهائل المنحدر اليهم من اوروبا كان الشر عندنا زائداً عن مثله في هذه بقدر الفرق بين غناها وفقرنا وتقدمها وتأخرنا واتساع الوسائل لديها وضيقها لدينا وكمال قوانينها ونقصان القوانين عندنا . والفرق عظيم يا اخوان والشر سيكون اعظم

نجيب حاج

خطرات شاعر

يا من اضن باسمه ان يعلما انا من علمت فضنّ بي ان اظلما
اشكوك لا ابغي الجزاء وانما ارجو بذلك ان ترق وترحما
واذا طلبت لك الجزاء فنعمة ما ان تزال بها الزمان منعما
لي منك يا مولاي شيمة ظالم اسقى بها كأس الشبيبة علقما
اصفو وتكدر كالحياة وليس لي جرم فمن ينهاك ان تتجرما

أمسي ومالي من اذاتك عاصم يرجى وان كنت الاعز الاعصما
القي السلاح فما اجرد مخذما مهما ضربت ولست اشرع لهذما
واذا ضربت فما أصيب بضربتي غيري ولست اريق غير دمي دما
لو كان غيرك ظالمي لسقيته كأس الحتوف ولم اهب ان انقما
ولربّ اخرق سامني غير التي ارضى فاصبح انفه قد صلما
اني كذلك ما ازال على الذي يرتاد ربعي بالهوان محرما
لو شئت جنبت الظلامة ساحتي وسلكت في امري السبيل الاقوما
حاشا لمثلي ان يكون كما ترى فاربأ بنفسك ان تكون اخا عمى
واذا جهلت شمائلي وفعائلي فاسأل بها القوم الكرام لتعلما
شرُّ المعائب منة مقرونة باذى يظل له الكريم ملوّما
لا تتبع المنّ الاذى يوماً وكن رجلاً اذا بدأ الصنائع تمما
أمن المروءة ان تكدّر صفوه بذميمة حتي يعود مذمما
يا رب عرف ما يزال يذيعه موليه حتى يستسر ويكتما
وكذاك ما ينفك يتبع غيه ذو الغي في الاقوام حتى يندما
واذا النصيحة لم تفد في جاهل فالعجز ان تقضي وان تتحلما
ورضى الفتى بالهون آية حمقه ان كان يقدر ان يعيش مكرما
والدهر اكذب من وثقت بوعده فتخلّ عن وعد الكذوب لتغنما
يدني اليك الحاج عزّ منالها حتى تمد الكف تبغي الانجما
لا يخدعنك ما ترى من آله فلقلما تشفى لوامعه الظما
واذا نبت عنك المطالب جائماً فمن الشقاوة ان تحب المجثما
ما ينفع الراجي عسى ولعلما ولقلما تجديه ليت وربما